لعنة تولستوي لكل حكومة

في الهيئة الاجتماعية الحاضرة

رجال العقول يُدافعون باقلامهم عن حرية
امة يُراد قتلها

﴿ مشروع جائر ﴾ وضعت حكومة بروسيا نظاماً موءداه اعطاء الحكومة حق نزع ملكية الاراضي والمزارع التي يمتلكها البولونيون في بولونيا لتقسيمها و بيعها للالمانيين رغبة في (هضم بولونيا) أي إضعاف القوة البولونية وزيادة العنصر الالماني فيها . ومعلوم ان بولونيا كانت جمهورية مستقلة تم اقتسمتها روسيا والمانيا والنمسا . وقد عُرض هذا النظام على مجلس النواب البروسي فاقرّه بعد جدال شديد ثم رُفع الى المجلس الاعلى فلقي فيه معارضة شديدة

﴿ صوت كاتب بولوني مشهور ﴾ وقبل ان يُرفع الى هذا المجلس كتب الكاتب البولوني المشهور هنري سيينكيويكز كتاباً الى جميع مشاهير اوروبا من أهل العلم والادب والسياسة يسألهم فيه ان (يرفعوا اصواتهم) للاحتجاج على (فعل وحشي) تريد بروسيا فعله . وقد كتب كتابه بلهجة معتدلة كما يُنتظر من كاتب مشهور مثله لا يجهل ان صعوبات السياسة لا تُجاوَز بالصراخ والاهانة . ومما قاله فيه ان بروسيا تفضح المانيا بهذا النظام الجائر لان كثيرين من عقلاء الالمانيين غير راضين عنه

فكان لصوت الكاتب البولوني صدى في جميع امم اوروبا فانهالت على الجرائد وخاصة الانكليزية رسائل الاحتجاج على فعل المانيا من مشاهير الرجال لان تلك البلاد — حياها الله وبياها — تضمّ رجالاً لا يخشون في الحق لومة

لائم و يجيبون صوت الحق والعدل والحرية اذا بلغ آذانهم و يرون من العار عليهم ان يسكتوا عن الانتصار للحق اذا لاح لهم ·

﴿ جواب الفيلسوف تولستوي ﴾ وكان الفيلسوف الروسي تولستوي من جملة الذين وجّه اليهم الكاتب البولوني رسالته فاجابه تولستوي بما خلاصته

,, عزيزي هنريك سينكيويكز

,, انني عالم بالمسألة التي كتبتَ لي في شأنها ولذلك لم تدهشني ولكنها ثبتتني في رأيي وهو ان حكام هذا الزمان من امبراطرة وملوك ووزراء وقادة حرب وزعماء الاعضاء في مجالس النواب — كلهم قد بلغوا في عصرنا ادنى دركات الانحطاط الادبي · وهؤلاء الافراد لا يمكنهم ان يثبتوا في مراكزهم الا بواسطة هذا الانحطاط · فانهم اشخاص يصرفون همهم الى ابتزاز ثروة الشعب الذي يتعب و يعمل وإعداد الحروب والمذابح وتنفيذها والحكم على الناس بالاعدام والكذب على انفسهم وعلى غيرهم · فاشخاص كهؤلاء الاشخاص لا يمكن ان يكون لهم أب

وقد كان ممكناً في العصور الاولى ان يقوم حاكم فاضل نزيه نظير مرقص اوريليوس ولكن في عصرنا المسيحي الجديد جميع الملوك والامبراطرة الذين قاموا من عهد اسرة لويس الى ما يليها من اسرة نابوليون ومن كاترين الثانية الى نقولا الاول ومن فردريك الى هنري الي اليصابات — فرنسويين والمان وروس وانكليز — لايمكننا ان ننظر اليهم الا بانفةواشمئزاز مع كثرة مدّاحهم ومطرئيهم · واما ملوك هذا الزمان الذين يأتون جميع ضروب المذابح والشدة فقد انحطوا الى درجة من الادب دون ما تقتضيه الاكثرية حتى اصبحنا ننظر اليهم ولا نغضب من افعالهم بل نستقبلها بالشفقة

فيجب ان لا نغضب على اشخاصهم المجرّدة من اصغر العواطف الانسانية

المقدسة . كما انه يجب ان لا نحاربهم . وانما يجب ان نحارب هذه الآلة القديمة التي يسمونها الآن حكومة والتي هي السبب الاصلي في عذاب البشر . يجب ان نحارب الوهم الذي يعتقدونه من ان الحكومة يجب ان تكون ضاغطة شديدة وهو اعتقاد مخالف للمبدإ المسيحي وقد منع الانسانية من بلوغ النجاح والارتقاء الذي اصبحت مستعدّة له منذ زمان . ومحاربة هذا الوهم لا تكون الا بطريقة واحدة ولكنها طريقة فعالة بديهية . وهي المعيشة خارج دائرة ضغط الحكومات والبعد منها والاستغناء عنها

اما المسألة التي اهتممت لها وهي استعداد حكومة بروسيا لنزع ملكية الاراضي في داخل الولايات البولونية من ملاكها البولونيين فانني فيها أشد شفقة على الذين يأتون هذا النزع مني على الذين تُنزع منهم املاكهم . فان هؤلاء لا يضيمهم شيء لانهم اذا سُلبوا املاكهم في ارضهم انتقلوا الى ارض أخرى وفعلوا فيها ما كانوا يفعلونه في ارضهم . وانما أشفق على ظالميهم . أشفق على الناس الذين يعيشون تابعين لحكومة لصوص وهم متضامنون معهم . واظن ان كل انسان ذي عقل سليم لا يتردد في ان يفضّل ان يكون بولونياً مطروداً من املاكه على ان يكون بروسيّا مشاركاً لحكومته في هذا الطرد

هذا رأيي في ما يجري الآن في بوسنانيا وبالاحرى هذه هي التأملات التي أثارتها تلك الحوادث في نفسي

واعذرني اذا لم يجئ كتابي كما كنت تتوقع . ولك ان تستعمله بالطريقة التي تراها . وهو في كل حال قد نفعني بانه جعل بيننا علائق

لاون تولستوي